

## كيف تسرق الثورات ؟

يحيى يخلف

في ذروة العصر الذهبي للكفاح الفلسطيني المسلح، كان الرئيس عرفات يقول لنا: حافظوا على وحدة ثورتكم وشعبكم، وعلى قراركم الوطني المستقل لكيلا تسرق ثورتكم.. وكان يقول: يمكن للثورة أن تتعرض الى السطو مثلما تتعرض المنازل والشركات والبنوك، فهناك جريمة جنائية منظمّة، وهناك جرائم سياسية أكثر تنظيماً، فاحذروا أن تسرق ثورتكم.

كانت الثورة الفلسطينية آنذاك تواجه محاولات من انظمة عربية للهيمنة عليها والاستيلاء على قرارها الوطني، وتوظيفها كورقة، أو منازعتها في حق وحدانية التمثيل، أو تنفيذ مخططات للنيل منها ومحاصرتها، بل وضربها وتصفيتها.

ياسر عرفات دافع ودافع معه رفاقه واخوانه وجنوده وقدموا الشهداء دفاعا عن الثورة ووجودها وقرارها الوطني، وكان ومعهم رفاقه من جيل العمالقة يحرسون على تحصين البيت الداخلي الفلسطيني، وتعزيز وحدته وتنوعه، ولم يكن يقصي أحدا من ألوان الطيف السياسي، لأنه كان يعتقد أيضا أنّ القلاع تغزا من داخلها.

انها خلاصة واستنتاج لقائد محنك علمته التجارب والمحن، فاستطاع ان يحافظ على جوهر الحركة الوطنية الفلسطينية بأبعادها القومية والإنسانية، وهي خلاصة ما أحوجنا إليها في هذه الأحداث والوقائع التي يشهدها الوطن العربي والمستهدف بها الإنسان العربي وحرية وكرامته وخياراته، وحرية وطنه وسلامته دولته، وحضورها بكل عناصر قوتها في السياسات الإقليمية والدولية.

في هذا العدد حاولنا مقارنة موضوع التدخلات الخارجية الرامية الى سرقة الثورات العربية، والسطو على أحلام الجماهير العربية، والسعى للسيطرة على الحراك الشعبي الذي صنع ثورات عربية، وتمكين تيار بعينه من سرقة الثورة للتماهي مع الآخر ومع مصالحه ومع أمن اسرائيل، وهي تدخلات تعمل لحسابها قوى اقليمية تختلف أو تأتلف في مساحة لعبة الصراع على الهيمنة والنفوذ، وتجند لحملتها أموالاً، وأعلاماً ومحطات فضائية، وسلطة دينية تطلق الفتاوى، وتوظف الدين لخدمة أجندات اقليمية (قطر نموذجاً وذراعها الإعلامي: الجزيرة، والديني: الشيخ القرضاوي، ولا يخلو الأمر ايضاً من مفكر عربي كبير).

وعندما كانت المجلة ماثلة للطبع، جاءت معطيات جديدة ايجابية تمثلت في المتغيرات غير المسبوقة في المشهد المصري، إذ أسفر الحراك الشبابي الهائل (حركة تمرد) وانحياز القوات المسلحة الوطنية الى هذا الحراك، وانهاء حكم الإخوان، جاءت هذه المعطيات لتقلب الموازين، وتحدث التغيير، وتعيد الروح الى ثورة ٢٥ يناير، والى أهدافها في الحرية والديمقراطية والكرامة الإنسانية.

فشل الإخوان المسلمون في مصر في امتحان الديمقراطية، إذ اختاروا من الديمقراطية مبدأ صندوق الاقتراع، ونحوها جانباً مبادئها الأخرى كالتعددية، والحرية العامة، والتنوع البشري، والدستور الذي يمثل كل مكونات الشعب، والحرية العامة وخصوصاً حرية الإعلام، والمضي قدماً في أخونة الدولة، وإحداث انقسام وشرخ في الوحدة الوطنية والنسيج الاجتماعي، بتواطؤ وتحالف مع الولايات المتحدة التي كانت تحرص على ترسيخ نفوذها وحماية اتفاقيات كامب ديفيد، وبالتالي حماية أمن اسرائيل.

ولعل أبرز ظاهرة وطنية تستحق التقدير في المشهد الذي أعاد الروح الى ثورة يناير وأفضى الى استمراريتها، ظاهرة القرار الوطني المستقل للقوات المسلحة المصرية التي لم تخضع للضغوط الأميركية، ولم تعبأ بتهديداتها، مما أكد الثقة بهذا الجيش الوطني الذي حمى الثورة، والذي صمد وبقي القوة العربية الوحيدة المتماسكة في دول ما أطلق عليها دول الربيع العربي.

ولعله من المبكر قراءة الأحداث وتطوراتها وسيرورتها في المشهد والحراك الشبابي المصري، لكن ما يمكن التأكد منه هو أن حكم الإخوان فشل، وفشلت معه منظومة اقليمية ودولية، ومنظومة قناة الجزيرة غير المهنية، وذات البعد الواحد، ومنظومة فتاوى القرضاوي التي توظف الدين لخدمة السياسة.

وقسّل الإخوان في الحكم سيكون نموذجاً لفشل فروع الإخوان وقوى الإسلام السياسي في عموم المنطقة.

وهذا يعني أن مبدأ فصل الدين عن السياسة، أصبح ضرورة لإقامة الدولة المدنية، وأن الإسلام الشعبي الذي يمثله الأزهر الشريف، وليس الإسلام السياسي سيكون سمة وهوية هذه الدولة المدنية التي ستكون دولة كل مواطنيها في كنف التعددية، والتنوع البشري الخلاق.

وما يحدث في مصر من تصحيح لمسار الثورة سينعكس ايجاباً على مسارات الثورات العربية، وسيكون النموذج والإمثلة.. لذا فإن على الكتاب والمفكرين والنخب السياسية مهمة الإسناد الفكري لقضايا الحرية، والديمقراطية، والعدالة الإنتقالية، ودستور الدولة المدنية، ومبادئ المواطنة، والتنوع، وتعظيم الحوار، وتعزيز الهوية ومنظومة القيم العليا وحقوق الإنسان.

ولا شك أنّ نجاح الثورة في مصر وتحقق أهدافها، سيعيد الى هذا البلد دوره المركزي كقوة فاعلة، وكلاعب قوي في الشرق الأوسط والعالم العربي، وذلك بعد غياب عربي عن مشهد إقليمي كان اللاعبون فيه ايران وتركيا واسرائيل. ولا شك أن عودة مصر لدورها الإقليمي والدولي سيشكل دعماً استثنائياً للقضية الفلسطينية التي تأثرت سلباً بانشغال الدول العربية بقضاياها الداخلية. ولا شك أيضاً أن انحسار دور الإخوان في مصر، سيدفع حركة حماس إلى استخلاص الدروس، والعودة الى البيت الفلسطيني والكف عن السير في طريق لم يجلب لمن سار عليها إلا الفشل الذريع.

\* \* \*

وتواصل مجلتنا (أوراق فلسطينية) في عددها الثالث رسالتها الفكرية التنويرية منحازة الى مطالب واهداف الجماهير العربية، بوسائل فكرية جادة وورصينة، وتجد صدىً لهذه الرسالة في اهتمام القارئ العربي أولاً، واهتمام الكتاب والمفكرين العرب الذين نتواصل معهم ثانياً، وفي اهتمام جامعات ومؤسسات ومراكز ثقافية ذات شهرة عالمية ثالثاً.. ومن ذلك استضافة معهد العالم العربي في باريس للمجلة في مطلع شهر نيسان (ابريل) الماضي واقامة حفل خاص في مكتبة المعهد لتقدمها والتعريف بها بحضور جمهور من كبار المثقفين والمهتمين العرب والأجانب، واهتمام وسائل الإعلام وخصوصاً اذاعة مونتري كارلو الدولية، وقناة فرانس ٢٤ وتغطيتها للحدث.

ان ما حظيت به المجلة من اهتمام واقبال واعجاب بمضمونها يؤكد على نبل الرسالة التي نحملها انتصاراً للمستقبل العربي، ودعماً لوحدة المصير القومي، وابرار مكانة القضية الفلسطينية في هذا النهوض العربي الفريد.

وفي هذا السياق فإننا نؤكد مرة أخرى على دعوة الكتاب والمفكرين العرب إلى المشاركة في الكتابة على صفحات هذه المجلة، والمساهمة في تعميم ثقافة التغيير والتجديد، ثقافة الحرية، ثقافة الانحياز الى قضية الإنسان.